مجلة المفكر
EISSN: 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الخامس/ العـدد: الأوّل (شوال 1442هـ/جوان 2021م) ص 243– 258

# الواقع الزراعي في المغرب الأوسط (الجزائر) في القرنين 5و6هـ/11و12م

## من خلال كتب الجغرافيا

## *The Agricultural reality in the Central Maghreb in the 5 and 6 AH / 11 and 12th bc centuries through geography books*

***Abdelkader Slimani*** **عبد القادر سليماني**

***Abu Alkacem Saad Allah University–2*** **جامعة أبو القاسم سعد الله–الجزائر2**

***African Studies laboratory*** **مخبر دراسات افريقية**

***Kader.zyad@yahoo.com***

**تاريخ الاستلام: 14 /2021/04** **تاريخ القبول: 16 /2021/05**

**ملخص:** يتناول هذا المقال أهم مظاهر الواقع الزراعي في المغرب الأوسط، في القرنين 5و6هـ/11و12م من خلال كتب الجغرافيا، و ذلك باختيار ثلاثة نماذج من كتب الجغرافيا، التي تناولت منطلقة المغرب الأوسط بالوصف، و قد حاولنا من خلال استقراء تلك النماذج تتبع ملامح الواقع الزراعي بكل مكوناته، سواءً ما تعلق منها بالأراضي الزراعية أو الموارد المائية، وكذا المنتجات الزراعية المتنوعة، و تهدف هذه الدراسة بالأساس الى محاولة الإستعانة بالمصادر الجغرافية، في فهم الواقع الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي عموما، والجزائر كجزء أصيل منه خصوصا، و التنصيص على حجم تطور علم الجغرافيا عند المسلمين من خلال دقة الوصف والتحليل و الربط بين الأسباب والنتائج. و من أهم النتائج التي توصلنا اليها في ذلك : التنوع الكبير في المحاصيل الزراعية من حبوب وفواكه وتمور، كان خاضعا بشكلٍ كبيرٍ لإختلاف المناخ، إضافة الى حصول ما يمكن تسميته بالتكامل الإقتصادي بين مختلف مدن المغرب الأوسط، من خلال تبادل السلع والمنتجات، فضلاً عن أنّ الوفرة الزراعية ساهمت في كثرة الاسواق وانتشارها، و كذلك التأثير في إرخاص الأسعار، وهو ما انعكس على حياة الناس بشكل بارز جدا.

**الكلمات مفتاحية:** الزراعة ؛ المياه ؛ الأنهار ؛ الحبوب ؛ الأسواق ؛ الأمن الغذائي

***Abstract :***

***This article examines the most important aspects of agricultural reality in the Central Maghreb, in the 5 and 6 AH / 11 and 12th bc centuries through geography books, by selecting three examples of geography books, which dealt with the description of the central Maghreb in , and we have tried by extrapolating those models , that follow the features of agricultural reality in all Its components, whether related to agricultural lands or water resources, as well as various agricultural products, and this study aims mainly to try to use geographical sources, in understanding the economic and social reality of the Islamic West in general, and Algeria in particular.***

***Keywords: Agricultur; Water; Rivers; Grain; Markets; Food Security.***

**1- مقدمة:**

تُعد كتب الجغرافيا والرحلات مصدراً مهماً من مصادر التأريخ الإقتصادي والإجتماعي لمختلف الشعوب، وهو ما أعطاها مكانةً هامة وسط المصادر التاريخية الأخرى، وذلك أنّ هذا النوع من الكتب كان أقرب الى حياة الناس العادية، من خلال وصف المدن والامصار، وطبائع الناس وسلوكاتهم الثقافية والإجتماعية، وفي تعاملاتهم اليومية، وهو ما جعلها تُغطّي نقصا كبيرا لا تسدّه مصادر التأريخ السياسي والعسكري.

وبلاد المغرب الإسلامي بدورها وموقعها حظيت بالكثير من هذه المصادر التي تحدّثت عن مدن المغرب ومناطقها المختلفة، ووصفتها وصفا طبيعيا وعمرانيا، بل وتجاوزت ذلك الى تقديم معطيات كمية عن النشاطات الإقتصادية والإجتماعية المختلفة طوال العهود التاريخية السابقة.

وعلى هذا الاساس فقد اخترت أن يكون هذا النوع من المصادر أساسا لهذه الدراسة، والتي أتناول فيه الواقع الزراعي في المغرب الاوسط ( الجزائر حاليا) في القرنين 5و6هجريين / 11و12ميلاديين، من خلال ثلاثة مصادر هي:

أولا / المسالك والممالك لأبي عبيد البكري الاندلسي.

وثانيا / الإستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول من القرن 6هـ/12م.

ثالثا / نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي.

حيث أنّ هذه المصادر الثلاثة حفلت بالمعطيات الكثيرة عن الوصف الطبيعي للمدن، ومنتجاتها، ونشاطات سكّانها، وأثر ذلك كله على حياة الناس، وكيف كان مفهوم الأمن الغذائي مجسّدا في حياة الناس بغض النظر عن المصطلح ذاته.

## 2– المنهج العام للمصادر المدروسة:

تشترك الكتب الثلاثة المدروسة في مجموعة من الخصائص، أهمها أنّ أصحابها لا يكتفون بالوصف العام للأمصار والمدن، وإنّما يتجاوزون ذلك الى الوصف التفصيلي للطرق والمفاوز والأنهار والجبال، ويعود هذا الاسلوب الى أنّ المؤلفين كانوا رحالة جابوا بلاد المغرب، فوصفوها وصفا مبنيا على المعاينة والمشاهدة، مع وجود حالات كثيرة يكتفون فيها بالنقل عن غيرهم.

ولأنّ موضوعنا يتركز على منطقة المغرب الأوسط (الجزائر) فلابدّ من توضيح بعض الأمور المبدأية:

أولها : أنّ مفهوم المغرب الأوسط لم يكن مضبوطا تاريخيا وجغرافيا بالمعنى الذي نفهمه اليوم، ولهذا وجدنا في دراستنا هذه أنّ بعض المناطق الشرقية من الجزائر الحالية، قد تُذكر لدى المؤرخين والرحالة ضمن المغرب الأدنى(تونس حاليا) أحيانا والعكس صحيح.

وثانيها : ما يوجد من تحريف وتصحيف في أسماء بعض المناطق والمدن واحتمال التشابه أحيانا، وهو أمر نفسره باعتماد المؤلفين أحيانا على المشافهة والنقل عن الرواة دون توثق.

وثالثها : أنّ أصحاب هذه الكتب الثلاثة محل الدراسة، لم يلتزموا في وصفهم للمدن والقرى باتجاه جغرافي محدد، من الشرق الى الغرب مثلا أو العكس، وإنّما كانوا في أحايين كثيرة يعيدون ويكررون لتوضيح تعدد الطرق التي تربط بين المدن، الشهيرة وغير الشهيرة سواء الداخلية أو الساحلية كما سنراه في قادم الصفحات.

وسنبدأ فيما يلي باستعراض عام للكتب المدروسة وتبيان منهجها العام

**أولا : المسالك والممالك:**

بالنسبة لكتاب : المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (ت 487هـ / 1094م)، فقد كان صاحبه مؤرخا وجغرافيا مرموقا، ولد في الأندلس وعاش بها وتقلد مناصب سلطانية كثيرة، ويعد كتابه مصدرا مهما في جغرافية بلاد المغرب، وبالإضافة الى اعتماده على المشاهدة، ضمّن كتابه أحيانا وصفا مبنيا على أقوال المسافرين والتجار الذين زاروا بعض بلاد المغرب[1].

وقد كان كتابه مصدرا ثريا لغيره كياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م ) وابن خلدون (ت 808هـ/1406م)، اضافة الى صاحب كتاب الإستبصار الذي اعتمدناه مصدرا أيضا في هذه الدراسة، ويتضح ذلك في بعض الفقرات المنقولة حرفيا أحيانا[2].

وقد بدأ البكري وصفه لبلاد المغرب الأوسط من الشرق الى الغرب، بداية بمدينة تبسة وانتهاء بتلمسان، مع اعتماده أحيانا على التكرار في وصف الطرق الرابطة بين المدن شمالا وجنوبا، في صورة مبدعة تبين مدى ثراء الرجل علما وملاحظة.

وهو في وصفه هذا يعطي ملاحظات هامة عن المصادر المائية للمدن وأهلها، وأنواع المنتجات الزراعية، وأثر ذلك سلبا وايجابا من خلال الحديث عن الأسعار والأسواق.

**ثانيا : الإستبصار في عجائب الأمصار :**

صاحب كتاب الإستبصار هو كاتب مراكشي مجهول، لا يظهر لنا من خلال كتابه أي شيئ عن شخصيته، ماعدا بعض الشذرات المتفرقة، كإشارته الى نفسه بصيغة ( الناظر ) أو ( الواضع )، وذكره للسلطان يعقوب الموحدي (579هـ ـ595هـ/1184م ـ1199م)[3].

إن النظرة السريعة إلى كتاب الاستبصار تبين أن موضعه الأليق به هو ضمن المكتبة الجغرافية العربية. ورغم ذلك فإنه من الصعب وضعه فى موضعه الصحيح بين أصناف الكتب الجغرافية المعروفة: من كتب الأطوال والعروض، وكتب تقويم البلدان، وكتب المسالك والممالك، أو كتب العجائب[4]، والحقيقة أنّنا لو أخذنا بعنوان الكتاب، وهو «كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار» لوجب وضعه بين كتب المجموعة الأخيرة. ولكن الأمر ليس كذلك؛ إذ هو ليس كتاب جغرافية

خالصة. فرغم تاريخ تأليفه المتأخر نسبيا نلاحظ أنه يحتوى على خليط من التاريخ والجغرافية من كل لون، مما يجعله أشبه ما يكون بكتب الجغرافية من النوع البدائى الأول[5].

ومن الناحية التاريخية يحتوى الكتاب على معلومات مختلفة فى طبيعتها، وفى قيمتها: كالقصص التاريخية القديمة المنقولة عن كتب معروفة أو مفقودة وهى من طبقة الأساطير ذات القيمة الأدبية فقط؛ ومثل الوثائق التاريخية المعاصرة ذات الأهمية البالغة[6].

وقد جاء منهجه في الكتاب شبيها بما في كتاب المسالك للبكري، الا أن الوصف كان مقتضبا بشكل كبير، بدأها من مجانة الى تلمسان، ولعلّ مردّ ذلك الى اعتماده على كتاب البكري، وان لم يصرّح بذلك، الا أنّه اختلف عنه في عدم تطرقه للأثر الإقتصادي لوفرة المنتجات الزراعية على حياة الناس.

**ثالثا : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:**

بخصوص كتاب نزهة المشتاق للشريف الإدريسي (ت 560هـ/1165م) فصاحبه أشهر من نار على علم، وكتابه يعتبر عمدة في كتب الجغرافيا لعدة أسباب :

أولها : أنّه أُلّف بعد تقعيد علم الجغرافيا الإسلامي ووضوح أسسه العلمية.

وثانيها : أنّ الإدريسي اعتمد على مصادر سابقة لجغرافيين من أمثال ابن خرداذبة (ت 272هـ/ 885 م) و ابن حوقل النصيبي (ت بعد 367هـ/ 977 م) والمسعودي ( ت346هـ/958م)، وبذلك جاء كتابه جامعا لأشتات المحاسن، ومتلافيا لأخطاء سابقيه[7].

وثالثها : مايُعرف عن الإدريسي أنّه أول من رسم خريطة صحيحة للعالم، أو فلنقل الأقرب الى الصورة الحالية التي نعرفها، وهذا بذاته يعطينا صورة واضحة عن مكانة الرجل العلمية.

و زيادة على اعتماد الإدريسي على المصادر السابقة، فقد اعتمد على ما يمكن تسميته بشهود العيان من تجار ورحالة آخرين، وهذا ما يرده في كتابه من قبيل (( .... ولقد أخبر بعض السفار الثقات ...))[8] و((... وحكى بعض المسافرين ...))[9].

وإذا ركّزنا على موضوع دراستنا وهي المغرب الأوسط، فإن | الإدريسي تناول المنطقة بفيض من المعلومات، التي لم تقتصر على الجغرافيا الطبيعية فقط، بل تعدتها الى الجغرافيا البشرية والإقتصادية أيضا .

وقد اختلف عن المصدرين السابقين في كونه بدأ بوصف منطقة المغرب الأوسط من الجهة الغربية، بدءا بتلمسان ووصولا الى أقصى الشرق، اضافة الى أنّه يصف المدن والقرى في المناطق الداخلية، ثمّ يعرّج على الطريق الساحلي المحاذي للبحر المتوسط، وفي كثير من الأحيان يلجأ الى التكرار في حالة وجود أكثر من طريق مشهور، وهو تكرار أثرى الموضوع وزاد من حجم المعلومات المختلفة .

## 3–الواقع الزراعي في المغرب الأوسط ( الجزائر حاليا ):

### أولا : المصادر المائية:

من خلال تتبعنا للمصادر الثلاثة موضوع هذه الدراسة، فإنّه يمكننا تصنيف المصادر المائية التي كانت تُغذّي القطاع الزراعي في المغرب الأوسط، الى نوعين هما:

أ / الأنهار

ب / العيون والآبار

اضافة الى مصدر آخر أقل أهمية وهي الصهاريج وهي أماكن اتجميع المياه للإستفادة منها، في مواسم الجفاف والجدب.

### أ / الأنهار:

لاحظنا في المصادر الثلاثة التي اعتمدناها لهذه الدراسة، أنّها لا تأتي على ذكر مدينة ولا قرية، الا وذكرت لها نهرا يُغذي أهلها وأرضها، حتى يظن القارئ أنّ بلاد المغرب الأوسط كانت أنهارا جاريةً متتاليةً من شرقها الى غربها، وفي ذلك مجازفة كبيرة ترجع أسبابها الى عدم الإنتباه أحيانا من أصحاب المصادر المعتمدة، الى أنهم يكررون ذكر نفس النهر مرتين، وهذا لاعتمادهم على النقل عن الرواة دون تمحيص، فيقعون في هذه الأخطاء، ضف الى ذلك أنّ بعض ما يسمونه أنهارا انما هي في الحقيقة وديان تتفرع عن أنهار أخرى، ولكي ندللّ على كلامنا، نأخذ ما يذكره البكري عن

مدينـة ملياناـة حيـث يقـول (( ولهـا نهـر كبـير ...))[10]، وحـين يتحـدث عـن الشـلف يـذكر نهرهـا الشـهير[11] ، ولكنّنا نجد عند صاحب الإستبصار أنّ نهر ملياناة هو ذاته نهر الشلف أو فرعٌ منه، ونحن نرجح القول الثاني لأنّ صاحبه يتكلم بصيغة من رأى لا من سمع عن غيره[12] .

وعموما فمن الأنهار المذكورة عند البكري، نهر بيطام الذي يشق مدينة طبنة ويسقي جميع بساتينها، ويقول عنه أهلها (( ... بيطام بيت الطعام ...))[13] لغزارة ماءه وأثره على زروعهم، ويضيف على ذلك صاحب الإستبصار بقوله أنّه لم يكن من القيروان الى سجلماسة أكبر منها[14] ، لسعة بساتينها المروية من هذا النهر.

ومنها أيضا نهر بسكرة الذي ينبع من جبل الأوراس حسب البكري[15] ، ويُفصّل صاحب الإستبصار أكثر فيقول أنّه يسقي بساتينها ونخلها على مسافة ستة أميال[16] .

ويُضاف الى ذلك نهر سهر الذي يمتد من الغدير الى أن يدخل المسيلة، والتي كانت كثيرة النخيل والبساتين[17] .

ومن الأنهار أيضا نهر كبير توجد عليه مدينة قزرونة باقليم متيجة، وقد أُقيمت عليه الأرحاء ــ الطواحين ــ والبساتين، وهذا النهر ينفرد بذكره البكري دون غيره[18] .

وبالجهة الغربية نجد نهر شلف الذي يَغذّي حسب المصادر طبعا أغلب المنطقة، حيث نجد ذكره في المصادر الثلاثة عند الحديث عن مدن الشلف ومليانة ومستغانم وبعض القرى الأخرى[19] .

وهناك نهر مينا الذي بُنيت عليه مدينة تاهرت حيث يصفه البكري فيقول : (( ...ومنه تشرب أرضها وبساتينها ...))[20]، الا أنّ الإدريسي يمرّ عليه مرور الكرام، ولعلّه لم يكن بالحجم الكبير في عصره[21] .

ولابدّ من الإشارة أخيرا الى حديث البكري عن نهر أخر يُسمّى سيرات بالقرب من قلعة هوارة، والذي يسقي مساحة من الأرض تبلغ الأربعين ميلا[22] .

وعموما فالعدد المذكور من الأنهار في المصادر الثلاثة، والذي يتجاوز العشرين نهرا، يُعطينا صورةً واضحةً عن الوفرة المائية والتي ساهمت في النمو الزراعي الوفير في القرنين 5و6 هجريين /11و12ميلاديين

و فيما يلي جدول بأهم الأنهار الموجودة في المغرب الأوسط، والمدن التي يمر عليها من خلال المصادر الثلاثة السابقة:

| إسم النهر | المدن التي يمر بها |
|---|---|
| نهر بيطام | طبنة |
| نهر سهر | المسيلة . الغدير . راوا |
| نهر شلف | مليانة . الشلف . مستغانم |
| نهر بسكرة | تهودا . بسكرة |
| نهر سطفيسف | تلمسان |

**الجدول رقم 01**

**ب . العيون والآبار**

وهي المصدر المائي الثاني لشرب السكان وسقي الزروع والبساتين، وقد كانت كثيرة جدا في بلاد المغرب الأوسط، بداية من مجانة بالجهة الشرقية حسب صاحب الإستبصار[23] ، ثمّ تيفاش وميلة عند البكري[24].

وأيضا عند الحديث عن الغدير بالقرب من المسيلة، حيث يذكرها البكري دون تفصيل[25] ، ويُضيف عليه صاحب الإستبصار أنّ اسمها مستمدٌ من كثرة ما يتجّمع بها من مياه العيون[26].

وفي نزهة المشتاق للإدريسي حديث عن عيون تسقي مدينة تنس وريغة ووهران وكذلك تاهرت[27] .

وينفرد صاحب المسالك بذكر الآبار التي كانت تسقي سوق حمزة وأيضا مليانة وتهودا بالجهه الشرقية[28]

وزيادة على ذلك كله نجد ما يُعرف بالصهاريج التي كانت تُنشأ لتجميع المياه، واستعمالها في أوقات الجدب، ويذكر منها البكري واحدا في طبنة وآخرا في بونة[29].

**ثانيا : المنتجات الزراعية:**

أتاحت لنا المصادر الثلاثة موضوع الدراسة، معلوماتٍ غزيرة جدا عن مختلف أنواع المزروعات بالمغرب الأوسط، خلال القرنين 5و6هجريين / 11و12 ميلاديين.

وقد أمكننا أن نُجمل ملاحظات أساسية قبل التفصيل في ذلك وهي:

أولا : أنّ كتاب نزهة المشتاق للشريف الإدريسي، كان أغزر المصادر الثلاثة مادة بخصوص تحديد أنواع المنتجات و تقدير كمياتها في كل مدينة وقرية.

وثانيا : التنوع في المنتوجات من منطقة الى أخرى، ويبدو أنّ العامل المناخي قد لعب دورا أساسيا في هذا الأمر.

وثالثا : تخصصّ بعض المناطق في انتاجٍ معيّن، جعلها تُعرف به على المستوى الإقليمي، ودفع أحيانا الى التنافس لرفع المستوى الكمي والنوعي.

ورابعا : ارتباط الإزدهار في المنتجات الزراعية بتوفر مادة اللحوم والسمن، وهو أمرٌ منطقي على اعتبار توفر المراعي الخصبة.

وخامسا : توفر مادة العسل وذلك أمرٌ تابعٌ لتوفر المساحات الخضراء الواجبة لتربية النحل.

وتفصيلا لما سبق فقد تحدّثت المصادر الثلاثة عن ارتباط كل مدينة بنوعٍ خاصٍ من المزروعات، فالإدريسي يذكر أنّ مدينة تنس تختصّ في زراعة الحنطة[30] ، في حين يذكر صاحب الإستبصار مدينة باديس حيث يصفها بأنّها ذات أرباضٍ واسعةٍ ومزارع جليلة، وأهلها يزرعون الشعير مرّتين في السنة[31] ، وهو أمرً تكرّر تأكيده عند البكري[32].

وبالعودة الى الإدريسي فإنّه يُحدّد لنا مناطق مختلفة اشتهرت بالمنتجات المعاشية مثل الحنطة والشعير والقمح، وهي المسيلة وشرشال وبادية بني مزغنة ومرسى الدجاج وباغاية وقسنطينة[33] ، وبادية بجاية وهذه الأخيرة يُقرّر أنّها وصلت حدّ الإكتفاء الذاتي حيث يقول : (( ... وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلّت كفت ...))[34].

ويُضيف صاحب الإستبصار الى ما سبق قلعة ابي الطويل وهي قلعة حمّاد[35] .

أما البكري فيذكر طبنة ونهرها الذي يُسمّى بيطام والذي يقول عنه أهلها :(( ... بيطام بيت الطعام لجودة زرعها ...))[36] . أمّا الفواكه والثمار فقد اختصّت بها مناطق بعينها وهي عند الإدريسي الخضراء وتدلس وميلة، وتنس التي يبلغ بها السفرجل حداً يفوق الوصف كبرا وحسناً، وتُنافسها في ذلك شرشال[37].

ويُضيف البكري أنّ بتيهرت نوعٌ فريدٌ من السفرجل يُعرف بالفارسي[38].

أمّا صاحب الإستبصار فيذكر تميّز ميلة وملیانة في أنواعً من الفواكه المختلفة[39].

ومن الفواكه المشهورة أيضا الجوز، الذي يُزرع بسطيف ويُحمل منه الى سائر الأقطار وأيضا بنقاوس[40].

وتشترك المصادر الثلاثة عند حديثها عن التمور، أنّ بداية بلادها من باغاية وتتركّز في المسيلة وخصوصا في بسكرة التي تُعرف ببسكرة النخيل[41] ، ويذكر صاحب الإستبصار أنواعاً من التمور ببسكرة منها ما يُعرف بالكسبا والليلري، وهذا النوع الأخيركان ابو عبد الله الشيعي (ت 289هـ/911م) يمنع بيعه ويصطفيه لنفسه[42] .

ولم تكن مدائن المغرب الأوسط تختص بالمزروعات الغذائية فحسب، بل انّ الأمر تعدّى الى زراعات أخرى يمكن تسميتها بالتجارية، كزراعة القطن والكتان، وبعض الأعشاب التي تُستعمل في الصناعة الطبية.

فالقطن عند الإدريسي يُزرع بالمسيلة وطبنة[43] ، وهو عند البكري منتشرٌ في مستغانم[44] ، كما انّ الكتان يُحمل من متيجة الى كلّ النواحي[45] ، و بقرية بني وازلفن تُزرع الحناء والكمون[46] ، وبجبال بجاية ينبت الحضض والبرباريس والراوند مما يُنتفع به في الصنعة الطبية[47].

ومن المنتجات الهامة أيضا بمدن المغرب الأوسط لحوم الحيوانات والألبان والسمن، وسبب ذكرها هنا هو ارتباطها بالخصب وتوفر المراعي، فالإدريسي يذكر أنّ لأهل شرشال مواشي وأغنام كثيرة، وكذلك بتاهرت، ويبرز ذلك أكثر ببجاية حيث تتوفر اللحوم والأسمان، لأنّها بلاد زرعٍ وخصب[48].

وبونة عند البكري كثيرة اللحم واللبن[49].

والقـول الفصـل في هـذه الجزئيـة يُلخّصـه صـاحب الإستبصـار حـين يقـول (( ... وللمغـرب الأوسـط مـدنٌ كثيرةٌ، وهـي كثيرة الخصـب والـزرع، كثيرة الغـنم والماشـية، طيّبـة المراعـي ومنهـا تُجلـب الأغنام الى بلاد المغرب والأندلس لخصها وطيب لحومها ..))[50].

ويرتبط بذلك أيضا توفر مادة العسل، حيث المراعي والمساحات الخضراء، فتاهرت وشرشال وجزائر بني مزغنة ومازونة، هي مدن يشتهر أهلها بتربية وانتاج العسل عند الإدريسي[51] ، ويُضاف اليها مدينة باديس عند صاحب الإستبصار[52]

**ثالثا : الأثر الإقتصادي والإجتماعي:**

كـان لـوفرة المنتجـات الزراعيـة والحيوانيـة في بـلاد المغـرب الأوسـط، آثـارٌ مختلفـةٌ علـى الواقـع الإقتصادي والإجتماعي على المنطقة تبيّن في عدّة ملامح:

أولها : انخفاض أسعار المنتجات المختلفة.

وثانيها : كثرة الأسواق اليومية والاسبوعية بمختلف المناطق.

وثالثها : الوصول الى الإكتفاء الذاتي للمدن في عديد المنتجات، بل والقدرة على ايصالها الى مدن أخرى داخل وخارج الإقليم، وهي صورة هامة من صور التكامل الاقتصادي.

ورابعها : تحسن الظروف المعيشية والإجتماعية لسكان المنطقة.

وخامسها : الوصول الى تحقيق الأمن الغذائي فعليا في حياة الناس.

وتأكيدا على الملاحظات السابقة نجد لدى الإدريسي حديثا عن رخص الاسعار في وهران، ممّا انعكس رخاءً على أهلها[53].

وحال أهل قسنطينة في يُسرٍ كبير لكثرة ما يدخلها من فواكه، وما يخرج منها من عسلٍ وسمن[54] .

ويصف البكري المسيلة بأنّها كثيرة اللحم رخيصة السعر[55] ، أمّا الغدير فرخص أسعارها ليس له مثيل في غيرها، حتّى أنّ قنطار العنب يُباع فيها بدرهم[56].

ومدينة سطيف عامرةٌ جامعةٌ كثيرة الأسواق رخيصة الاسعار[57].

وبالإنتقال الى صاحب الإستبصار فإنّنا نجده يذكر عن ميلة، أنّها كثيرة الخصب رخيصة السعر، وهي كثيرة الأسواق[58] ، وكذلك الامر بالنسبة الى مليانة التي يعتبرها أخصب بلاد افريقية وأرخصها سعرا[59] ، وتلمسان كثيرة الخيرات والخصب، رخيصة الأسعار[60].

وعموما فإنّ أثر الرخاء في المنتوجات الزراعية، قد تجسّد في حياة الناس اقتصاديا واجتماعيا، من خلال ما تمّ رصده في المصادر السابقة، وهذا ما اوصل البلاد الى ما يُمكن تسميته بمعنى الأمن الغذائي الفعلي بعيدا عن التسمية المتأخرة نسبيا.

وفيما يلي جدول بأهم المنتجات الزراعية والحيوانية وأماكن تواجدها:

| المنتجات | أماكن زراعتها |
|---|---|
| الحنطة والقمح والشعير | تنس . جزائر بني مزغنة . مرسى الدجاج . بجاية . طبنة . باغاية . المسيلة . شرشال . باديس . قلعة بني حماد |
| الفواكه | معسكر . يلل . ريغة . تدلس . ميلة . الغدير . عين الصفاصف . ندرومة . مليانة . قلعة هوارة . نقاوس . سطيف . تلمسان . تبسة |
| التمور | يسكرة . طولقة . تهودا |
| الأعشاب الطبية والتوابل | بني وازلفن . جبال بجاية |
| القطن والكتان | مقرة . مستغانم |
| الأنعام | تاهرت . الخضراء |
| العسل | بونة . قسنطينة . مازونة |

الجدول رقم 2

## 4- الخاتمة:

استطعنا من خلال هذا البحث المتواضع، أن نصل الى جملة من النتائج الهامة وهي:

**أولا** : توفر المصادر المائية بشكل وفير في بلاد المغرب الأوسط، دفع النشاط الزراعي في مختلف أنحاء البلاد وساهم في الرخاء الإقتصادي في الفترة المدروسة.

**وثانيا** : أنّ المساحات الزراعية الخصبة قد توفّرت في مختلف أنحاء الإقليم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وهو أمرٌ ساهم في التنوع وتعدّد الثروات الزراعية.

**وثالثا** : أنّ التنوع الكبير في المحاصيل الزراعية من حبوب وفواكه وتمور، كان خاضعا بشكلٍ كبيرٍ لإختلاف المناخ، وخبرات السكان المحليين في زراعة أنواعٍ خاصة.

**ورابعا** : الوصول الى ما يُمكن تسميته بالتكامل الإقتصادي الذي كان حاصلا بين مختلف مدن المغرب الأوسط، من خلال تبادل السلع والمنتجات.

**وخامسا** : أنّ وفرة المنتوجات الزراعية ساهم في كثرة الاسواق وانتشارها، وهو أمرٌ دفع النشاط الإقتصادي بشكل مؤثر.

**وسادسا** : أنّ النشاط الزراعي الكثيف دفع الى توفر منتجات أخرى كالمنتجات الحيوانية والتي يرتبط وجودها بشكل وثيق بالأراضي الخصبة والمراعي.

**وسابعا** : أنّ وفرة الإنتاج الزراعي والحيواني ساهم في إرخاص الأسعار، وهو أمر معروف في العلاقة بين العرض والطلب.

**وثامنا** : أنّ بلاد المغرب الاوسط قد استطاعت خلال القرنين 5و6هجريين / 11و12 ميلاديين، تحقيق مفهوم الأمن الغذائي فعليا، وانعكس ذلك على حياة الناس، مع ملاحظة أنّ النشاطات الزراعية في المنطقة لم تكن مرتبطةً كثيرا بإرادة السلطة المركزية ان وُجدت، بل هي نشاطات معتادة وتدخل في نطاق الحياة اليومية العادية لسكان المنطقة عبر أجيالٍ مختلفة .

## 5–الهوامش:

1.أحمد نفيس ، جهود المسلمين في الجغرافية، ترجمة فتحي عثمان، مطابع دار القلم، القاهرة، ب ت، ص 75.

2.في وصفه مثلا لتلمسان وبجاية .

3.مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار : دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، مقدمة التحقيق، ص 3.

4.كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963، ص 156.

5.نفسه، ص 159.

6.زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، 1945م، ص 112 .

7.أحمد نفيس، المرجع السابق، ص 88.
8.الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ، ج 1، ص 27.
9.نفسه، ج 1، ض 30.
10.ابو عبيد البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ج 2، ص 737.
11.نفسه، ج2، ص 737.
12.الإستبصار، المصدر السابق، ص 171.
13.البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 712.
14.الإستبصار، المصدر السابق، ص 172.
15.البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 714 .
16.الإستبصار، المصدر السابق، ص 173.
17.البكري، المصدر السابق : ج 2، ص 716.
18.نفسه، ج 2، ص 732 .
19.نفسه، ج 2، ص 737.
20.نفسه، ج 2، ص 734.
21.الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 257.
22.البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 237 .
23.الإستبصار، المصدر السابق، ص 161 .
24.البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 715 .
25.نفسه، ج 2، ص 716 .
26.الإستبصار، المصدر السابق، ص 167 .
27.الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 256 .
28.البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 733.
29.نفسه، ج 2، ص 717 .
30.الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 251.
31.الإستبصار، المصدر السابق ، ص 175.
32.البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 734.
33.الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 265 .
34.نفسه، ج، ص 261.

35.الإستبصار، المصدر السابق، ص 167.
36.البكري، المصدر السابق، ج2، ص 712.
37.الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 258 .
38.البكري، المصدر السابق، ج2، ص 734.
39.الإستبصار، المصدر السابق، ص 171.
40.نفسه، ص 172.
41.نفسه ، ص 173.
42.البكري، المصدر السابق، ج 2،ص 713.
43.الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 261.
44.البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 737 .
45.نفسه، ج2، ص 732.
46.الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 253.
47.نفسه، ج 1، ص 259 .
48.نفسه، ج1، ص 258 .
49.البكري، المصدر السابق، ج2 ص، 717.
50.الإستبصار، المصدر السابق، ص 179.
51.الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 258 .
52.الإستبصار، المصدر السابق، ص 175.
53.الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 252 .
54.نفسه، ج1، ص 265.
55.البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 723.
56.نفسه، ج 2، ص 724 .
57.نفسه، ج 2، ص 745.
58.الإستبصار، المصدر السابق، ص 166.
59.نفسه، ص 171.
60.نفسه، ص 176.

**قائمة المصادر والمراجع:**

1 / أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.
2 / الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ.
3 /مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار : دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م.
4 /أحمد نفيس ، جهود المسلمين في الجغرافية، ترجمة فتحي عثمان، مطابع دار القلم، القاهرة، ب ت.
5 / زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، 1945م.
6 / كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.